Kahramanmaraş Sütçü İmam Üniversitesi
İlâhiyat Fakültesi Dergisi
The University of Kahramanmaraş Sütçü Imam
Review of The Faculty of Theology
ISSN-1304-4524 e-ISSN-2651-2637

Ahlâk-ı Alâ'î Adlı Kitapta Arap İmajı

The Image of the Arab in the Book Titled Akhlāq-i ʿAlāʾī

Yazar / Author
Abdulsattar ELHAJHAMED
Dr. Öğr. Üyesi. İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Arapça Mütercim ve Tercümanlık Anabilim Dalı, İstanbul/TÜRKİYE
abd.81@hotmail.com
https://orcid.org/0000-0003-3856-3944

Makale Türü/ Article Types: Araştırma Makalesi /Research Article
Makale Geliş Tarihi/ Date of Receipt: 02/02/2022
Makale Kabul Tarihi / Date of Acceptance: 27/06/2022
Makale Yayın Tarihi: 30/06/2022
Yayın Sezonu/Pub Date Season: Haziran/ June
Yıl/Year: 20 **Sayı/Issue:** 39 **Sayfa /Page:** 185-211
Atıf/Citation: Elhajhamed, Abdulsattar. "Ahlâk-ı Alâ'î Adlı Kitapta Arap İmajı". *KSÜ İlahiyat Fakültesi Dergisi* 39 (Haziran 2022), 185-211.
https://doi.org/10.35209/ksuifd.1067403

● *Bu makale iThenticate programında taranmış ve intihal içermediği tespit edilmiştir*

KSÜ İlahiyat Fakültesi Dergisi
39 (Haziran 2022): 185-211

Ahlâk-ı Alâ'î Adlı Kitapta Arap İmajı

Öz

Karşılaştırmalı edebiyat çalışmaları içinde bir alt disiplin ve yan dal olarak ortaya çıkan imagoloji, belli bir dönemde bir milletin başka bir millete karşı sahip olduğu izlenimleri bilmeye yardımcı olur. Araştırmacılar, ötekinin imajını genel olarak edebî eserlerde incelemeye odaklanmıştır. Ancak bu çalışmamızda Osmanlı İmparatorluğu döneminde ahlak alanında yazılmış en önemli kitaplardan biri olan "*Ahlâk-ı Alâ'î*" adlı eserde Arap imajı ele alınmıştır. Hayatının bir bölümünü Şam, Kahire ve Halep gibi Arap şehirlerinde kadılık yapan Kınalızâde Ali Efendi (916-979 H. / 1510 -1572 M.), Şam'dayken "*Ahlâk-ı Alâ'î*" adlı eserini kaleme almış, eserinde Araplarla ilgili pek çok yorum, hikâye, haber ve şiire yer vermiştir. Bu makalede Arap imajını oluşturan unsurlar incelenmiş, yazarın Araplarla ilgili zikrettiği olumsuz ve olumlu özellikler beyan edilmiştir. Kitaptaki Arap imajının genel olarak olumlu görünmesi dikkat çeken bir husustur. İmajın bu şekilde oluşması, kitabın yazıldığı tarih, güçlü olan din faktörü, yazarın çok kültürlülüğü ve istifade ettiği kaynaklarının çeşitliliğiyle bağlantılıdır.

Anahtar Kelimeler: Edebiyat, Kınalızâde, *Ahlâk-ı Alâ'î*, Arap, imaj

The Image of the Arab in the Book Titled *Akhlāq-i ʿAlāʾī*

Abstract

Imagology, which emerged as a sub-discipline, a minor branch in comparative literature studies, helps to know the impressions of a nation against another nation in a certain period. Researchers' interest has generally focused on examining the image of the other in literary works. However, in this study, the image of Arab in the work called *Akhlāq-i ʿAlāʾī*, which is one of the most important books written in the field of morality in the Ottoman Empire, is discussed. This work was written by Qınālızāde ʿAlī *Çelebi* (1510-1572/916-979 H.), who spent a part of his life as a judge in Arab cities such as Damascus, Cairo and Aleppo. In this study, the

elements that make up the image of Arab in the mentioned book, which includes many comments, stories, news and poems about the Arabs are examined. The negative and positive features, mentioned by the author, about Arabs are declared. It is noteworthy that the Arab image in the book seems generally positive. The formation of the image in this way was related to the historical context in which the book was written, the strong religious factor, the multiculturalism of the author and the diversity of the sources he used.

Keywords: literature, Qınālızāde, *Akhlāq-i ʿAlāʾī*, Arab, image.

صورة العرب في كتاب أخلاق العلائي

ملخص

إن دراسة صورة الآخر التي تندرج في إطار الأدب المقارن تساعد على معرفة الانطباعات التي يحملها شعب من الشعوب تجاه شعب آخر في مرحلة زمنية معينة، وينصب اهتمام الباحثين بشكل عام على دراسة صورة الآخر في الأعمال الأدبية، بيد أن هذه الدراسة تناولت صورة العرب في كتاب أخلاق العلائي أحد أهم الكتب المؤلفة في علم الأخلاق في الدولة العثمانية، والذي ألفه القاضي علاء الدين على بن أمر الله الشهير بابن الحنائي (916 –979 هـ / 1510 –1571 م) الذي قضى جزء من حياته قاضياً في المدن العربية (دمشق–القاهرة–حلب). لقد دُرست في هذا البحث العناصر المكونة لصورة العرب في الكتاب المذكور الذي تضمن العديد من الأمثلة والتعليقات والحكايات والأخبار والأشعار المتعلقة بالعرب، وبُينت الصفات السلبية والإيجابية التي أوردها المؤلف في حديثه عن العرب. وأُشير إلى أن صورة العرب في الكتاب بدت إيجابية بشكل عام، وتم ربط تشكّل هذه الصورة على هذا النحو بالسياق التاريخي الذي أُلِّف فيه الكتاب، والعامل الدينيّ الذي كان قوياً، وثقافة الكاتب وانفتاحه، وتنوع مصادره.

الكلمات المفتاحية: الأدب، ابن الحنائي، أخلاق العلائي، العرب، صورة الآخر

مقدمة

إن دراسة صورة الآخر لا يقتصر مجالها على كتب الرحلات وكتب الشعر والقصص والروايات[1] فحسب، بل يكمن البحث عن صورة الآخر أيضاً في مؤلفات تتعلق بالعلوم الاجتماعية كالفلسفة والتاريخ والجغرافيا والأخلاق. فثمة عدد من تلك المؤلفات التي تنتمي إلى تلك العلوم الاجتماعية السابقة الذكر تحتوي على كثير من المعلومات التي يمكن من خلالها استشراف صورة شعب من الشعوب، وذلك من خلال أمور كثيرة أهمها الاستطرادات والأمثلة والشواهد والحكايات التي يُستشهد بها في هذه الكتب. ويُعتبر كتاب أخلاق العلائي من الكتب التي يمكن من خلالها استجلاء صورة العرب لما يتضمنه من أمثلة وتعليقات وحكايات وأخبار عن العرب. ولعل موضوع الكتاب ومصادره والتجربة الشخصية للكاتب من الأمور التي ساعدت على إيراد هذه المعلومات عن العرب والاستشهاد بأقوالهم وأشعارهم فيه.

إن صورة الآخر ليست هي الآخر بطبيعة الحال، وهي ذات سياق تاريخي تُحيل إلى الواقع الذي تكوّنت فيه، وهي قابلة للتغيير بتغير تلك العوامل والظروف. فعندما تكون الأنا التي ينتمي إليها راسم صورة الآخر في موضع قوة، وتكون علاقتها مع الآخر علاقة حاكم ومحكوم، وتكون الروابط المشتركة كالدين أو المذهب قوية ومهيمنة، في كثير من الأحيان لا يتبدّى الآخر بصورة سلبية أو بصورة العدو، بل تكون صورته إيجابية أقرب إلى الواقعية. أما عندما تكون الأنا في حالة ضعف وانكماش، وتكون الروابط المشتركة بينها وبين الآخر ضعيفة أو مُهمّشة، يصبح الآخر في أحيان كثيرة عدواً يهدد وجودها وكيانها.[2] وتلعب التجربة الشخصية للكاتب ونظرته للعالم، وتواصله مع الآخر ومعرفته به دوراً كبيراً في رسمه لصورة الآخر، فعندما يكون الكاتب على تماس مباشر مع الآخر، وتكون مصادر معرفته

[1] ماجدة حمود، *مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000م)، 118.

[2] الطاهر لبيب، "الآخر في الثقافة العربية"، *صورة الآخر؛ العربي ناظرا ومنظورا إليه*، الطاهر لبيب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999م)، 187-227.

للآخر متنوعة، غالباً ما يرسم صورة أقرب إلى الواقعية.

في ضوء هذه المقولة تهدف الدراسة إلى بيان صورة العرب في الكتاب المذكور، وذلك من خلال تحليل المعلومات المتعلقة بالعرب، ولا بد من الإشارة إلى أنّه تم استثناء ما ورد من كلام عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، كما استثنينا الإشارة إلى الاستشهاد بأقوالهم لأنّها من مصادر التشريع والاستشهاد لدى عموم علماء المسلمين.

1- التعريف بالمؤلف والكتاب

صاحب الكتاب هو القاضي والعالم العثماني علاء الدين علي بن أمر الله، المعروف بقينالي زاده، وعلائي، وابن الحنائي، ولد في إسبارطة- تركيا حوالي سنة (916 هـ/ 1510م)، في عائلة أُشتُهرت بالعلم والأدب، وأنجبت العلماء والشعراء، فقد كان أبوه مفتياً وجده قاضياً. اتصل ابن الحنائي بكبار العلماء في الدولة العثمانيّة من أمثال: معلول زاده، وجوي زادة، وابن كمال باشا، وبدر الدين الغزي. وولي القضاءَ بدمشق سنة (971 هـ) ومكث فيها أربع سنوات، ثم أعطي قضاء مصر سنة (974 هـ)، ثم قضاء حلب في السنة نفسها، ثم قضاء إسطنبول، وتوفي بأدرنة سنة (979 هـ/1572م).

لابن الحنائي تصانيف عديدة متنوعة في موضوعاتها، بعضها باللغة العربية. ويُعدّ كتاب أخلاق العلائي من أهم كتبه، وهو من الكتب التي ألفها باللغة التركيّة العثمانيّة في دمشق لأميرها علي باشا. جمع المؤلف جُلَّ مادة كتابه من كتب الأخلاق التي أُلّفت من قبل، وخاصة أخلاق الناصري لنصير الدين الطوسي، وأخلاق الجلالي لجلال الدين الدواني، وأخلاق المحسني لحسين واعظ كاشفي، وزاد عليها زيادات حسنة.[3]

[3] خير الدين الزركلي، *الأعلام* (بيروت: دار العلم للملايين، ط: 15، 2002 م)، 4/264-265؛ بروسلي محمد طاهر، *عثمانلي مؤلفلري* (إستانبول: مطبعة عامرة، 1333هـ)، 1/400-401؛ علاء الدين علي بن أمر الله ابن الحنائي، *طبقات الحنفية*، تح. محي هلال السرحان (بغداد: مطبعة الوقف السنيّ، 2005)، 1/10-28.

الكتاب يتألف من ديباجة ومقدمة وثلاثة فصول أساسية؛ الأول: في بيان علم الأخلاق وشرح رموزه، والثاني: في علم تدبير المنزل، والثالث: في علم تدبير المدينة. واعتمد قنالي زادة في كتابه على العديد من المصادر الفارسية والعربية، ذكرها أو ذكر مؤلفيها في طيّات كتابه. ويميل بعض الباحثين لمصادر الكتاب إلى التركيز على المصادر الفارسية لهذا الكتاب، ويذكرون من المصادر العربية كتاب إحياء علوم الدين، ولا يكترثون بباقي المصادر العربية،[4] إما لقلة الاقتباسات منها قياساً بالمصادر الفارسية، أو لاعتبارها شيئاً غير ذي بالٍ، لأن قسماً لا بأس به منها عبارة عن أشعار وحكايات وأقوال وحكم، أو لأن الكاتب لم يأخذ منها مباشرة، بل عبر المصادر الفارسية.

وأهم المصادر العربية التي استفاد منها المؤلف أو ذكرها أو ذكر مؤلفيها في كتابه هي: الشفاء، والنجاة، ورسالة المعاد، لابن سينا؛ إحياء علوم الدين، وميزان العمل، للغزالي؛ المستجاد من فعلات الأجواد، للقاضي التنوخي؛ علم الأخلاق، لابن مسكويه؛ شرح المقاصد، للتفتازاني؛ السيرة الصلاحية، لابن شداد؛ أزهار الروضتين، لابن شامة المقدسي؛ مروج الذهب، للمسعودي؛ قصيدة الفراسة[5]؛ التحقيق في شراء الرقيق[6]؛ كتاب التاجي، لأبي إسحق الحراني الصابي؛ الأدب الكبير، لابن المقفع؛ كتاب السكردان، لأحمد بن يحيى ابن أبي حجلة؛ كتاب دفع الحزن، ليعقوب بن إسحق الكندي؛ عوارف المعارف، للشيخ شهاب الدين عمر السهروردي؛ أدب الدنيا والدين، للماوردي؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير

---

[4] ينظر مثلاً:

Kınalızade Ali Çelebi, *Ahlak-ı Alâ'ī*, nşr. Mustafa Koç (İstanbul: Türkiye Yazma Eserler Kurumu Başkanlığı, 2014), 22-23; Kınalızade Ali Çelebi, *Ahlak-ı Alâî (Günümüz Türkçesiyle*), sad. Murat Demirkol (Ankara: Fecr Yayınları, 2016) 16-19.

[5] وهي أرجوزة مؤلفة من 233 بيتاً، تتضمن ذكر محاسن الأجناس ومساوئهم، أوردها ابن العجمي في كتابه كنوز الذهب من تاريخ حلب، ولعل ابن الحنائي نقل ما اقتبسه من أبيات منها من هذا الكتاب. ينظر: كامل الغزي، "قصيدة الفراسة"، *مجلة المجمع العلمي العربي* 3-4 (آذار ونيسان 1932)، 161-174.

[6] التحقيق في شراء الرقيق: مخطوط قديم في المكتبة التيمورية برقم 48 فضائل ورذائل، مجهول المؤلف. ينظر: عبد السلام هارون، *نوادر المخطوطات* (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1973)، 349.

الجزري.[7]

2–وصف العرب

ذكر الكاتب صفات العرب في مواضع مختلفة من كتابه، أهمها الموضع الذي تحدّث فيه عن أجناس البشر والأمم، ففي هذا الموضع أشار إلى أن لكل جنس من أجناس الناس أخلاقاً غالبة فيه، سواء كانت ممدوحة أو مذمومة، وذكر أسباب اختلاف خصائص الأجناس، وهي الجدّ الأعلى الذي تسري أخلاقه إلى أنسابه وأعقابه، والبلاد وهواؤها وماؤها، وسائر عوارضها، والتعلم.[8]

بدأ حديثه بالعرب مقدماً إياهم على بقية الشعوب التي ذكرها، فذكرهم أولاً ثم تحدّث عن الفرس، ثم عن الروم، ثم استفاض بالحديث عن الترك، ثم تحدّث عن الكرد، والمجر، والأرناؤوط، والروس، وغيرهم من الأمم. ولربما كان لهذا التقديم سبب دينيّ، فأهل السنة والجماعة –كما يقول ابن تيمية– يعتقدون بأفضلية العرب.[9]

ذكر ابن الحنائي في أثناء حديثه عن العرب أهم صفاتهم قائلاً:

"إن طائفة العرب عند أكثر العقلاء أفضل أجناس بني آدم، قلنا أكثر العقلاء، لأن هناك طائفة تفضل الفرس على العرب، ويُسمّون الشعوبيّة. العرب فائقون بالنطق والفصاحة والشعر والبلاغة، (...) وليس لهم نظير في الكرم والإحسان واستضافة الضيوف، ورعاية العهد والأمان، والشجاعة والفروسية. لكنهم موسومون بجفاء الطبع وقوّة الشهوة."[10]

وذكر المؤلف أيضاً أن من صفات العرب الإيجابية إباء الضيم والنزوع إلى الحرية، واستدلّ

---

[7] ينظر:

Ayşe Sıdıka Oktay, *Kınalızade Ali Efendi ve Ahlak-ı Alâî* (İstanbul: İz Yayıncılık, 2005), 82-84.

[8] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 800-802.

[9] تقي الدين أحمد بن تيمية، *اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم*، تح: ناصر عبد الكريم العقل، (الرياض: دار اشبيليا، 1998/1419)، 419/1.

[10] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 802.

على ذلك بتفضيلهم العيش في البوادي مع قسوته على العيش في المدن تحت حكم السلطان:

"ومن أخلاق العرب أيضاً عدم تحمّل الظلم والضيم، يعيشون في بواديهم مع الجوع والعطش، ولا يختارون الحضور إلى بلاد الشام والعراق والدخول في رعية السلطان، والعيش براحة."[11]

كما نقل المؤلف في كتابه ما ورد عن العرب في كتاب "التحقيق في شراء الرقيق"، وأورد من "قصيدة الفراسة"، هذه الأبيات المتعلقة بالعرب:

خيرُ البرايا والأنام العرب ... كذلك قال العالم المجرّب

طابوا فروعاً وزكوا أصولا ... لأنهم لم يلدوا مجهولا

وفيهم العزّة والحميّة ... والشيمة الطاهرة الزكيّة

كراهة الغدر وبذلُ الجُود ... والطُّعن بالمثقّف الأملود

وفيهم الخِداع والعَداوة ... والشَّر والإرهاب والقساوة

رعايةُ الجار وحق الضيف ... موجودة فيهم وضربُ السيف

أميُنهم ليس له مُماثل ... كما الخؤون ما له مُعادل[12]

إن الأبيات التي نقلها الكاتب تتضمن صفات إيجابية كالأصالة والعزة والحمية والكرم والشجاعة والوفاء والأمانة ورعاية حق الجار وحق الضيف، إلى جانب صفات سلبية كالخداع والإرهاب والقساوة والخيانة.

ومن أبرز صفات العرب التي توقف عندها الكاتب طويلاً صفة الكرم والجود، فعند حديثه عن علاج البخل قال مشيداً بكرم العرب: "إن صفة السخاء والكرم صفة مخصوصة

[11] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 802.
[12] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 804.

بأمة العرب التي هي خير الأمم، وأصل ومحتد سيد العرب والعجم".[13] ورأى أن الكرم قد راج في عهد خلفاء المروانيين والعباسيين، وذكر حكايات الأسخياء، وخاصة العرب منهم، "لعلها تكون سبباً في اكتساب صفة السخاء واجتناب سمة البخل"[14] على حد تعبيره. ومن كرماء العرب الذين أورد قصص كرمهم؛ عبد الله بن جعفر، والسيدة عائشة، والحسن بن علي بن أبي طالب، وأخيه الحسين بن علي، وزين العابدين بن الحسين، ويزيد بن المهلب، ومعن بن زائدة الشيباني، وسعيد بن خالد، وعبد الحميد بن سعد. وأشار إلى أن حكايات كرم أمراء الدولتين الأموية والعباسية يطول ذكرها، وأن القاضي التنوخي أورد قسمًا منها في كتابه المستجاد من فعلات الأجواد. وألمح إلى أن الكرم صفة لازمت دولة العرب، وأن الكرم أوشك على الزوال بعد زوال دولتهم، يقول:

"ودفتر جود وسخاء أمراء الدولة المروانية والعباسية لا نهاية له، وتفصيله يطول(...) ولكن بعد انقضاء دولة العرب كَسَدَ إلى حد ما سوقُ السخاء، وفَسَدَ عقد الجود".[15]

ورأى أن من أجاود العرب آل المهلب وأولادهم، وذكر مدح الشعراء لهم، ونقل قول المؤرخين أن آل المهلب في الدولة المروانية، وآل برمك في الدولة العباسية، كانوا في قمة الجود والسخاء، ونهاية الكرم والعطاء.[16]

ولم يغفل المؤلف عن الإشارة إلى الصفات السلبية التي تكثر في العرب، ففي معرض حديثه عن علاج المباهاة والفخر أشار إلى أن الافتخار بالأصل والنسب شائع في أكثر بني آدم، خصوصاً العرب.[17] وبين في موضع آخر من الكتاب أن العصبية والمنافرة وحب المبالغة والمفاخرة من طباع العرب، ودلّل على ذلك بحكاية جرت أحداثها في الكوفة زمن علي بن أبي طالب، ملخصها أن رجلين من أشراف قبائل العرب، كانت بينهما منافسة وخصومة، واتفق أن ذبح أحدهما جملًا، وفرّقه على فقراء القبيلة، فلمّا سمع خصمه بذلك ذبح جملين،

[13] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 616.
[14] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 616.
[15] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 630.
[16] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 622.
[17] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 382.

ووزّعهما على الفقراء، واستمرا على هذه الحالة حتى ذبح أحدهما مئة جمل، ولم يستطع الآخر مجاراته لعدم قدرته على ذلك، ولما عاد إلى الكوفة عاتبه قومه على عدم مجاراة خصمه، "عند ذلك هاجت العصبية والمنافرة وحب المبالغة والمفاخرة التي هي من طباع العرب، فاستل سيفه في أحد الأيام، وجال في سكك الكوفة يعقر كل جمل يراه، وينادي في الناس قائلًا: من أراد فليأخذ".[18]

إن معظم صفات العرب التي ذكرها الكاتب هي صفات ارتبطت بالعرب منذ القديم، وافتخر بها العرب أو عُيّروا بها، ووردت على لسان العرب وغير العرب في النصوص العربية المتعلقة بالمفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، نخص بالذكر المناظرة التي دارت بين النعمان وكسرى، فالنعمان بن المنذر فضّل العرب على غيرها من الأمم "بعزّها، ومنعتها، وحُسن وجوهها، وبأسها، وسخائها، وحكمة ألسنتها، وشدة عقولها، وأنفتها، ووفائها."[19] كذلك في الليلة السادسة من ليالي "الإمتاع والمؤانسة" التي أجاب فيها أبو حيان التوحيدي عن سؤال الوزير له: "أتفضّل العرب على العجم، أم العجم على العرب؟"[20]، فذكر أن لكل أمّة فضائل ورذائل، و"للعرب النّجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذّمام والخطابة والبيان"[21]. وذكر في موضع آخر أن من صفات العرب "الشجاعة والنّجدة والذّمام والضّيافة والفطنة والخطابة والحميّة والأنفة والحفاظ والوفاء والبذل والسّخاء."[22] وأشار في موضع آخر إلى أنّهم " أشدّ غلمة من غيرهم، وأكثر تهيّجاً، وأقوى

[18] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 690.

[19] ابن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تح. مفيد محمد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، 276/1.

[20] أبو حيان التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، اعتنى به: هيثم خليفة الطعيمي (صيدا–بيروت: المكتبة العصرية، 2011)، 1/ 70–81.

[21] التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، 72.

[22] التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، 73.

على البضاع".[23]

ولا بد من الإشارة إلى أن الصفات السلبية التي ذكرها ابن الحنائي ليست بشيء إذا ما قورنت بالصفات السلبية للأمم والشعوب الأخرى غير المسلمة في الكتاب نفسه؛ فالروم –على حد وصفه– أهل لؤم ودناءة وخسة، والمجر "كاملون في الخبث والفساد ...، يميلون إلى القتل والجرح والإباق".[24] أو بالصفات التي عيرت بها فارس العرب؛ فالوزير الجيهاني على سبيل المثال يقول عن العرب: "يأكلون اليرابيع والضّباب والجرذان والحيّات ويتغاورون ويتساورون، ويتهاجون ويتفاحشون، وكأنّهم قد سلخوا من فضائل البشر، ولبسوا أهب الخنازير".[25] وكسرى يقول للنعمان: "لم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوة، ... يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها، ومشاربها ولهوها ولذّاتها، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع ...".[26]

3– الخلفاء ورجال الدولة العرب

كان لقصص الخلفاء رجال الدولة وأقوالهم مكان مهم في الكتاب، ولا سيما في الباب الثالث منه، والذي خُصص للحديث عن تدبير المدينة وسياسة الرعية والتعامل مع الملوك. في هذا السياق كان ابن الحنائي يعمد إلى إيراد قصص الخلفاء وأقوالهم بعد تقريره لفكرة من الأفكار، وذلك للتدليل على صحتها وتدعيمها. وسنذكر رجال الدولة العرب الذين ذكرهم في الكتاب مرتبين ترتيباً تاريخياً مع استثناء ذكر الخلفاء الراشدين، كما بيّنا سابقاً.

ذكر ابن الحنائي أول خلفاء بني أميّة معاوية بن أبي سفيان في حديثه عن الشجاعة

---

[23] التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، 81.

[24] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 804-810.

[25] التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، 1/ 74.

[26] الأندلسي، *العقد الفريد*، 275/1.

وما يلتبس بها من رذائل، وذلك بعد أن بيّن أن الخوف والفرار أحياناً يؤديان إلى الهلاك، وأن الثبات والقرار يورث النصر والشرف، فذكر خبر معاوية في معركة صفين حينما وضع رجله في الركاب للفرار، فخطر بباله قول الشاعر والفارس الجاهلي عمرو بن الإطنابة الخزرجي:

أَبَـــت لِي هِمَّـــتي وأَبى بَلائـــي وأَخـذي الحَمـدَ بـالثَّمن الـرَّبيح

أقـــولُ لهـــا إذا جَشَـــأَت مكانـــك تُحمَـــدي أو تســـتريحي

فحمل نفسه على الصبر، فظفر بالخلافة أخيراً بسبب هذا الصبر[28].

كما ذكر يزيد بن معاوية، وذلك عندما قاده الحديث عن آفات اللسان إلى قضية لعن يزيد، فذكر أقوال العلماء فيها، وبعض الأشعار التي قيلت في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب.[29]

كما ذكر أشهر ولاة بني أمية الحجاج بن يوسف الثقفي في معرض تحذيره من المبالغة في العقوبة أو إنزالها فيمن لا يستحقها، فأورد قصصاً تُبيّن سوء عاقبة من يقوم بمثل هذا الأمر، منها خبر الحجاج مع التابعي سعيد بن جبير، ونعتَ الحجاج بالظالم، وأجاز ذكر مساوئه، واعتبر أن ذلك لا يدخل في الغيبة.[30]

كما ذكر من خلفاء بني أمية الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، وذلك في معرض حديثه عن اقتداء أكثر العوام بالسلاطين وتأثرهم بهم، فأورد القصة المعهودة عن تأثر العامة بخلفاء بني أمية، وتقليدهم الوليد بن عبد الملك بالاهتمام بالعمارة، وسليمان بن عبد الملك بالاهتمام بالطعام والشراب، وعمر بن عبد العزيز بالاهتمام بالعبادة.[31]

---

[27] في الأصل: وقولي كلَّما جَشَأَت وجاشَت. والقصيدة التي ينتمي إليها هذان البيتان وردت في معظم كتب الحماسة، كالحماسة الصغرى لأبي تمام، وحماسة البحتري، وحماسة الخالديين، والحماسة البصرية، والحماسة المغربية.

[28] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 256.

[29] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 538.

[30] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 572, 1070.

[31] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 938.

وتكرر ذكر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في أكثر من موضع من الكتاب، ففي خضم الحديث عن علو همة السلطان تحدث المؤلف عن علو همة عمر بن عبد العزيز، وبين أن الأصل في علو الهمة هو العمل للآخرة، ونعته بالعالم العامل العادل الكامل. وذكر خبره مع أبناء عمومته من أمراء بني أمية، كما ذكر قصة زواج والده من أم عاصم حفيدة عمر بن الخطاب.[32] وفي سياق حديثه عن القضاء والقدر، ذكر جواب عمر بن عبد العزيز لسائل عن سر القدر، وهو: "إنّ الله تعالى لا يطالب بما قضى وقدر، وإنّما يطالب بما نهى وأمر".[33] وفي سياق حديثه عن النميمة وكيفية التعامل مع النمامين استشهد بتعامل عمر بن عبد العزيز مع رجل نمام نمّ رجلًا عنده، "فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[الحجرات 6/49]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[القلم 11/67]، وإن شئت عفونا عنك، وسامحناك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، ولا تصدر عني نميمة بعد الآن".[34]

وذكر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في سياق حديثه عن العلاقة بين الخادم والمخدوم، فبعد أن بيّنَ أنّ الخدمة ينبغي أن تنبع من المحبة، وهذا الحال يتحقق عندما يكون الخادم شريكاً في نعمة المخدوم، ويكون له نصيب من دولته، أورد قصة أبرش الكلبي مع الخليفة هشام، ومفادها أن الكلبي لم يسجد شكراً على تولي هشام الخلافة إلا بعد أن وعده بأن يصطحبه معه إلى مقر الخلافة.[35]

وذكر آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد عند حديثه عن ضرورة عدم ترك العدو بسبب ضعفه وقلّته عند أول ظهوره وعدم الاستخفاف به، فأورد خبر تحذير نصر بن سيار والي خراسان مروان بن محمد من خطر أبي مسلم الخراساني، وعدم استجابة مروان بسبب

32 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 948-949.
33 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 594.
34 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 578.
35 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 798.

انشغاله بمهمات أخرى. وذكر قول علماء التاريخ والإخباريين أن مروان كان من السلاطين الفائقين في الشجاعة والشهامة والعزم والحزم والرأي والتدبير، إلا أنه جاء في آخر الدولة الأموية، وكان الدولة قد آلت إلى السقوط، فلم تغن عنه شجاعته شيئاً.[36]

ومن الخلفاء العباسيين ذكر أبا جعفر المنصور في خضم حديثه عن حاجة السلطان إلى المخبرين الصادقين وناقلي الأخبار الثقاة العدول حتى يعلم أحوال الرعية، واستشهد بقول المنصور الذي ذكر فيه أنّ أركان الملك أربعة، وهذه الأركان هي قاض لا تأخذه في الله لومة لائم، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية، وصاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.[37]

وذكر هارون الرشيد في معرض تحذيره من المبالغة في العقوبة أو إنزالها فيمن لا يستحقها، فأورد خبر هارون الرشيد مع البرامكة، وندمه على فعلته.[38] ومن الواضح أن غرض الكاتب من ذكر خبر الرشيد مع البرامكة ومن قبله خبر الحجاج مع سعيد بن جبير التحذير من الوقوع فيما وقع فيه هذان الرجلان من خطأ. وفي هذين الخبرين قدم ابن الحنائي الحجاج وهارون الرشيد شخصيتين لا ينبغي الاقتداء بهما فيما فعله كل واحد منهما بعدوه.

وذكر ابن الحنائي الخليفة عبد الله المأمون أكثر من مرة في كتابه، فقد تحدث عن أسلوبه في جمع المعلومات بواسطة المخبرين السريين الذين لا يعرفهم كبارُ رجال الدولة. وبهذه الوسيلة ضبط البلاد على نحو كان فيه من المستحيل أن تعرض عليه قضية ملفقة غير حقيقية.[39] كما أورد المأمون مثالاً للعفو عند المقدرة، فذكر أنه كان معروفاً ومشهوراً بخصلة العفو وترك الانتقام، وأنه تجاوز عن جرائم عظام، من ذلك عفوه عن عمه إبراهيم بن المهدي الذي ادّعى الخلافة، والفضل بن الربيع الذي كان وزير أخيه الأمين، وخادم له أساء الأدب في حضرته، وأورد قصة كل واحد من هؤلاء. كما أورد قول المأمون: "لو علم الناس لذتي في

[36] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1016-1018.
[37] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1006-1008.
[38] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1070.
[39] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1008.

العفو لما تقربوا إليّ بشيء غير الجرائم"[40]. وذكره أيضاً في حديثه عن عزم الملوك والسلاطين بعد أن بين أن على السلطان العاقل الكامل أن يتحلى بعزم الملوك الذي هو الأصل في كل الأمور، فأورد قصة مفادها أن الخليفة المأمون كان مبتلى بمرض نتف اللحية أو أكل الطين، وقد عجز الأطباء والندماء عن علاجه، في النهاية قال له أحد ندمائه أو أطبائه: إن علاجه عزمة من عزائم الملوك. بعد ذلك تخلص المأمون من مرضه بالعزيمة.[41]

وذكر المعتضد العباسي، وبيّنَ أنّه من الخلفاء الممتازين بالشهامة والشجاعة والفراسة والكياسة، وأن له في هذا الخصوص أفعالاً عجيبة أورد بعضها المسعودي في مروج الذهب، لم يذكرها لأن ذلك يؤدي إلى التطويل.[42]

وعند حديثه عن شرط اليسار الذي يجب أن يتوفر في الخليفة حذّر من الإسراف، وذكر خبر الخليفة المقتدر الذي كان –على حد قوله– بسبب حداثة سنه وأنسه بالنساء والخدم يبذل الذهب والجواهر والأموال التي كانت في خزائن دولة بني العباس للنساء وللخدم حتى أفرغ تلك الخزائن، الأمر الذي أدى في النهاية إلى سقوطه قتيلاً بيد الخادم مؤنس، واختلال دولة بني العباس.[43]

وفي معرض حديثه عن وجوب تحلي السلطان بعلو الهمة وأن لا ينشغل بمجالس اللهو والطرب عن محاربة الأعداء ذكر قصة طلب الشاعر الفارس أبي فراس من ابن عمه أمير حلب سيف الدولة الحمداني الذي كان منشغلاً بغزو الروم، ولا يجد وقتاً لمجالس اللهو والطرب، الاستماعَ إلى مغنية وردت المدينة حديثاً، بهذه الأبيات:

محلُّـــك الجـــوزاءُ أَو أرفـــع وصـــدرُك الـــدنيا أو أوســـع
وقلبُـك الرحـب الَّـذِي لم يـزل للْجـــدّ والهـــزل بِـــهِ مَوضِـــع

40 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 788, 1034.
41 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 960.
42 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1008.
43 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 962-964.

رفّــه بقــرع الْعــود سمعــاً غَــدا قــرع العــوالي جــلّ مَــا يســمع[44]

ونقل عن كتاب السكردان أن أبا الحسن المريني سلطان المغرب كان شجاعاً كراراً وفارساً يدخل بنفسه في ساحة الوغى، ويشق صفوف العدو بسيفه. وذكر أن فعله ذلك يُعدّ مذموماً.[45]

كما أشار الكاتب، في خضم حديثه عن ضرورة اتفاق أصحاب الدولة ونبذهم الفرقة، إلى أن دولة الإسلام في الأندلس عندما كان حكامها متفقين كانت تتغلب على من يحيط بها من الإفرنج، لكن بسبب التفرق والاختلاف بين حكامها ونشوب العداوة بينهم أصبحت عرضة للهزائم، حتى انمحت بسقوط غرناطة. وذكر مقتطفات من شعر أبي البقاء الرندي الأندلسي في رثائها.[46]

4–الاستشهاد بأقوال العرب وقصصهم وأشعارهم وعاداتهم

كثيراً ما يستشهد ابن الحنائي بكلام العرب، وكتابه يحفل بالكثير من أقوال العرب وأشعارهم، فإلى جانب الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وأئمة المذاهب، ثمة الكثير من الأقوال التي استشهد بها الكاتب للتدليل على رأي أو دعم فكرة.

لقد ذكر وصايا العرب في موضوع الزواج، فذكر وصية أحد بلغاء العرب بوجوب الحذر من "خمسة أنواع من النساء؛ الحنانة، والمنانة، والأنانة، وكية القفا، وخضراء الدمن". وذكر قول أحد مشايخ العرب لابنه عندما أراد الزواج: "يا بني إياك والغضوب القطوب الرقوب". وذكر وصية أكثم بن صيفي –وهو من حكماء العرب– لولد له في هذا الموضوع وهي: "يا بني لا يمنعنكم حب الجمال الظاهر عن إرادة الكفؤ الطاهر، ولا تقنعكم غلبة الشهوة بالفراغ من التأني، فنكاح اللئيمة يزيل الشرف في نسبكم، ويطيل لسان الطاعن".[47]

[44] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 944.
[45] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1016.
[46] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 972-974.
[47] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 722-726.

وذكر في باب شراء العبيد واختيارهم ضرورة عدم الاكتفاء بنظرة واحدة، فالنظرة الأولى محلّ اتهام، ودلّل على ذلك بتسمية العرب النظرة الأولى بالنظرة الحمقاء. وفي حديثه عن المواصفات التي ينبغي أن يتحلى بها العبد ذكر قول العرب: "خير مملوك من تكسر العصا بعد أخذه، وشر مملوك من تتخذ العصا عند شرائه"[48].

وفي حديثه عن طرق التخلص من الأعداء ذكر الهجرة وترك الأوطان، وبين أن ترك الديار أولى من العيش في ذلّ ومهانة. ودلّل على ذلك بعبارات جرت مجرى الأمثال وهي: "في الحركة بركة"، "من جال نال"، "من طلب جلب". وأوضح أن العلماء لا يلقون في أوطانهم الاحترام والمكانة التي يجدونها في غربتهم، وأورد دليلاً على ذلك قصة مكي بن ريان الموصلي الذي عاد إلى وطنه بعد أن عَلت مكانته، فسمع عند وصوله المدينة بعض العجائز تذكره بلقبه مكيك فقرر ترك البلد. وذكر بعض العبارات التي جرت مجرى الأمثال في التحذير من السفر وترك الأوطان من قبيل: "الغريب لكل سبع فريسة، ولكل رام رمية"، و"الغربة كربة"، و"السفر سقر"، و"النقلة مقلة".[49]

وعندما تحدث عن تربية الأولاد أكّد على ضرورة أن يشتغل الإنسان بالفن الملائم لطبعه والمناسب لاستعداده، وأورد حكاية الخليل بن أحمد الفراهيدي مع طالب له عجز عن تعليمه وتفهيمه علم العروض فطلب منه تقطيع قول الشاعر عَمْرو بن معد يكرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ففهم الطالب إشارة الخليل، وترك تعلم العروض.[50]

وعندما أشار إلى ضرورة عدم لوم المرأة بسبب ولادتها البنات ذكر قصة أبي حمزة الضبي الذي هجر زوجته لأنها أنجبت بنتاً، فسمعها ذات مرة تنشد أبياتاً تستغرب فيها موقف أبي حمزة منها، وتبين أن لا لوم عليها في هذا الأمر، فرقّ لها قلبُه، ورضي عنها

[48] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 794-796.
[49] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1066.
[50] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 744.

وصالحها.[51]

وفي معرض حديثه عن كيفية خطاب الملوك أورد قصة إنشاد إسحق الموصلي قصيدة مطلعها:

يا دار غيّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

بمناسبة بناء الخليفة المعتصم قصراً في سامراء، وتطير الخليفة من هذا الشعر وهدمه القصر.[52]

وفي معرض حديثه عن وجوب التعجيل في منح العطايا والهدايا قاده الأمر إلى ضرورة التعجيل حتى في إحضار الطعام في الوليمة وذكر خبر الشاعر ابن الحجاج الذي دعاه رجل أخّر إحضار الطعام، فقال:

يا ذاهباً في داره جائيا لغير معنى وبلا فائدة

قد جُنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة[53]

إن الكاتب يدرك جيداً الأثر الذي تتركه الأشعار عموماً، والعربية على وجه الخصوص في نفس القارئ، حتى إنه استشهد ببيت فارسي مفاده أن الجمل يطرب للشعر العربي، وأن من لا يطرب له حيوان خال من الذوق.[54] كما نظم بعض الأبيات والمصاريع بالعربية. وذكر أن العوام يتأثرون بالشعر ويمتثلون لأوامره ونواهيه، مبيناً أن هذا هو السبب في نظم الحكماء للشعر، لذا نراه يكثر من إيرادها في كتابه.

تضمن الكتاب عشرات من أبيات الشعر العربي لشعراء عاشوا في عصور مختلفة، فمن الشعراء العرب الذين استشهد بأشعارهم: لبيد العامري، وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي، وقيس بن الملوح، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والأخطل، والفرزدق،

51 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 732.
52 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 762.
53 Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 696.
54 البيت الفارسي لسعدي الشيرازي، وهو: اشتر به شعر عرب در حالت است وطرب گر ذوق نيست تو را كژطبع جانور.

وبشار بن برد، وابن الرومي، والمتنبي، وأبي تمام، ومسكين الدارمي، وأبي فراس الحمداني، والوزير المهلبي، وعمر بن الفارض، ومرج الكحل الأندلسي، وأبي البقاء الرندي.

قسم من هذه الأبيات كان يرد ضمن قصة أو خبر، على سبيل المثال في حديثه عن الاستهانة بضعف العدو أو أمره، ذكر إهمال بني أمية لولاية خراسان وتحذير واليها نصر بن سيار الخليفة من أبي مسلم الخراساني بأبيات منها:

أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
أقول من التَّعجب ليت شِعري أأيقاظ أمية أم نيام[55]

وفي أثناء حديثه عن وجوب عدم تعيين قادة للجيوش من الشباب اليافعين الذين نشأوا في الدلال والنعيم وأمضوا أكثر أعمارهم في الستور، يورد خبر إرسال مُعزّ الدولة الديلمي أحد غلمانه لمحاربة بني حمدان، وتنبؤ الوزير المهلبي بهزيمة الجيش بسبب هذا الفتى في أبيات أوردها الكاتب، آخرها قوله:

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده[56]

وأحياناً يورد الأبيات بعد تبيان فكرة أو تقرير أمر، ليدلّل على صدق هذه الفكرة، ونذكر هذه الفقرة مثالاً على ذلك:

"ولا يخفى على العاقل الأديب والماهر اللبيب أن الفرار لا يوجب البقاء والحياة، وأن التحمل والقرار لا يؤدي إلى الفناء والممات على كل حال، وأن تقديم وتأخر أجل الإنسان المسمى ووعده المقدر ممتنعٌ. حتى أن الفرار يوجب الهلاك والتّلف، والثبات والقرار يورث الظفر والشرف."[57]

[55] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1016-1018.
[56] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 1022.
[57] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 256.

بعد هذه الفقرة أورد المؤلف بيت ابن الرومي:

وإذا أتـاك مـن الأمـور مُقـدرٌ وفـررت منـه فنحـوه تتوجّـه[58]

ويقول في موضع آخر:

"بات معلوماً أن لسوء الاختيار مدخل في جلب الحزن، وأن لعدم التأمل واسطة في حصول التألم، والعاقل قابل لدفعه بالتأمل والملاحظة من نفسه، ويمكنه رفعه باعتبار التفكر، والجاهل بعد زمن من مقاسات الأحزان ينسى مثل البهائم، في حين يصبر العاقل ويسلو، ويلاحظ من البداية العاقبة، ويفكر في الآخرة، فيجري زلال طبعه في نهر الصبر والرضا، ويكون عاريًا من شوك وكناسة الحزن والعناء"[59]

بعد هذه الفقرة التي يشير فيها إلى قدرة الإنسان على دفع الحزن أورد هذين البيتين اللذين ينسبان لمحمود الوراق:

وليس يردّ النفس عن شهواتها مـن النـاس إلا كـل ماضـي العـزائم

إذا أنـــت لم تســـلُ اصـــطبارًا سلوت عن البلوى سُلوّ البهائم[60]

وفي خضم حديثه عن الشجاعة بيّن أن الموت الجميل أفضل من الحياة الذليلة، وأورد أبياتاً لأبي فراس الحمداني، وهي:

ونحـن أنـاسٌ لا توسـط بيننـا لنـا الصـدرُ دون العـالمين أو القـبر

تهـونُ علينـا في المعـالي نفوسـنا ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر[61]

وفي معرض حديثه عن علاج المباهاة أورد أبياتاً من الشعر العربي ليؤكد فكرة أن الفخر بالآباء والأجداد أمر لا طائل منه، نذكر منها قول ابن الرومي:

[58] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 256.
[59] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 480.
[60] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 480.
[61] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 254.

إن افتخـرت بآبـاء مضـوا سـلفا قُلنـا: صـدقتَ ولكـن بـئس مـا

وبيت آخر يُنسب إلى علي بن أبي طالب:

إن الفـتى مـن يقـول: هـا أنـا ذا ليس الفتى من يقول: كان أبي[62]

إلى جانب ذلك نجد إشارة إلى بعض العادات والتقاليد العربية، ففي أثناء حديثه عـن الـزواج وتربيـة الأولاد تطـرق صـاحب الكتـاب إلى اتخـاذ العـرب الـزواج وسـيلة لتطبيـع العلاقات وتقويتها وتوطيدها مع أعدائهم من أبناء جنسهم، وأشار إلى أن ذلك كان من عاداتهم، فقد كانت –على حد قوله– القبائل المتعادية تتصادق وتتحالف بالتزاوج والتصاهر. وذكر في هذا الصدد ما قاله خالد بن يزيد بن معاوية عن الأثر الذي تركه زواجه من رملة بنت الزبير على علاقته مع آل الزبير، فقد كانوا ألدّ أعدائه، لكن بعد أن تزوج منهم صاروا أحبّ أحبائه، وقال فيهم:

أُحب بني العوّام من أجل حبّها ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلبا[63]

خاتمة

إن كتـاب أخـلاق العلائي على الـرغم من أن موضـوعه هـو علـم الأخـلاق إلا أنـه حوى بين دفتيه الكثير من المعلومات عن العرب وثقافتهم وأدبهم. لقد أورد ابن الحنائي في كتابه كثيراً من صفات العرب وحكاياتهم وأخبارهم، وجمعُها في فضاء واحد يشكل تصوره عـن العـرب، ونظرتـه إلـيهم. وصـفات العـرب الـتي وردت في الكتـاب هـي الكـرم، والإبـاء، والوفاء، والشجاعة، والفروسية، وجفاء الطبع، وقوة الشهوة، والعصبيّة، والافتخار بالأصل والنسـب، والمبالغـة، والنـزوع إلى الحريـة. وهـي صـفات بعضـها إيجابيّـة وبعضـها سـلبيّة. ومـن الملاحـظ أن الصـفات الإيجابيـة الـتي ذكرهـا الكاتـب هـي نفسـها الصـفات الـتي اعتـاد العـرب على الفخر بها في مناظراتهم مع غيرهم أو في الموازنة بينهم وبين غيرهم من الشعوب. أما

[62] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 386.
[63] Kınalızade, *Ahlak-ı Alâ'î*, 706.

الصفات السلبية التي أوردها الكاتب فهي أقل من الصفات الإيجابية، وليس من بينها ما يشي بالازدراء.

كانت قصص العرب وأخبارهم وعاداتهم وأشعارهم موضع اهتمام الكاتب، فقد حرص على تدعيم الأفكار التي يسوقها بإيراد أخبار العرب وقصصهم، ولا سيما الحكام ورجال الدولة منهم، فاستشهد بصبر معاوية، وكرم الحسن والحسين وزين العابدين وعبد الله بن جعفر وآل المهلب، وورع عمر بن عبد العزيز وعدله، وظلم الحجاج الثقفي، وإهمال بني أمية للحركة المناوئة لهم في ولاية خراسان، وبطش هارون الرشيد، وحلم المأمون وعفوه، وتبذير الخليفة العباسي المقتدر وإسرافه. وبذلك يكون قد استخلص من تاريخ العرب وأخبارهم ما يُعتبر به، كما استشهد بأكثر من مئة بيت من الشعر العربي تعود لعصور مختلفة بدءاً بالعصر الجاهلي وصولاً إلى العصر المملوكي، وجد فيها ضالته لتأكيد فكرة أو دحض أخرى.

يمكننا القول إن صورة العرب في الكتاب تغلب عليها الواقعية، وهي مستمدة من المعايشة والتجربة الشخصية والمصادر العربية، كما أنها بعيدة عن التحيز والعنصرية والتعصب، وهي تحيل إلى الواقع الذي تكونت فيه. ويمكن ربط بروز هذه الصورة بهذا الشكل بالسياق التاريخي وبالعوامل الدينية والسياسية والاجتماعية المحيطة بالكاتب، فالكاتب عاش بين العرب في مصر والشام في زمن كانت فيه الدولة العثمانية ذات الطابع الديني في أوج قوتها، وكانت تسيطر على أنحاء واسعة من البلاد العربية، كما أنه عرف لغتهم، وقرأ كتبهم، وهم فوق ذلك يشكلون جزءاً مهماً من التركيبة السكانية في الدولة.

المصادر والمراجع

ابن الحنائي، علاء الدين علي بن أمر الله. *طبقات الحنفية*. تح. محي هلال السرحان. بغداد: مطبعة الوقف السني، 2005.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد. *اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم*. تح. ناصر عبد الكريم العقل. الرياض: دار اشبيليا، 1998/1419.

الأندلسي، ابن عبد ربه. *العقد الفريد*. تح. مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

بروسلي، محمد طاهر. *عثمانلي مؤلفلري*. إستانبول: مطبعة عامرة، 1333هـ.

التوحيدي، أبو حيان. *الإمتاع والمؤانسة*. اعتنى به: هيثم خليفة الطعيمي. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، 2011.

حمود، ماجدة. *مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2000م.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين، ط: 15، 2002 م.

الغزي، كامل. "قصيدة الفراسة". *مجلة المجمع العلمي العربي*. (3-4، آذار ونيسان 1932)، 161-174.

لبيب، الطاهر. "الآخر في الثقافة العربية". *صورة الآخر؛ العربي ناظرا ومنظورا إليه*. تح. الطاهر لبيب. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت: 1999م، 187-227.

هارون، عبد السلام. *نوادر المخطوطات*. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1973.

Kaynakça

Andelüsî, İbn Abdürabbih. *el-ʿİḳdü'l-ferîd*. thk. Müfid Muhammed Kamihe. Beyrut: Dârü'l- Kütübi'l- ʿİlmiyye, 1983.

Bursalı, Mehmed Tâhir. *Osmanlı Müellifleri*. İstanbul: Matbaʿa-i ʿÂmire 1333/1915.

Gazzî, Kâmil. "Kasîdetü'l-Farâse". *Mecelletül-Mecemi'l-ʿİlmî el-Arabi* 3-4 (Mayıs- Nisan, 1932), 161-174.

Hammûd, Macide. *Mukârebât Tatbikıyya fi'l-Edebi'l-Mukâren*. Dımaşk: İttihadü'l-Küttâbi'l-ʿArab, 2000.

Hârûn, Abdüsselâm Muhammed. *Nevâdirü'l-Maḫṭûṭât*. Mısır: Matbaʿatü Mustafa el-Bâbî el-Halebî, 1973.

İbn Hınnâî, Alâeddin Ali b. Emrullah. *Tabaḳātü'l-Ḥanefiyye*. thk. Muhy Hilâl es-Serhân. Bağdat: Matba'atü Vakfi's-Sünnî, 2005.

İbn Teymiyye, Takıyyüddîn Ahmed. *İḳtiżâʾü'ṣ-ṣırâṭi'l-müstaḳīm fi muḫâlefeti aṣḥâbi'l-caḥīm*. thk. Nâsır Abdülkerim el-'Akıl. er-Riyad: Dâr İşbiliyye, 1419/1998.

Kınalızade, Ali Çelebi. *Ahlak-ı Alâî (Günümüz Türkçesiyle)*. sad. Murat Demirkol. Ankara: Fecr Yayınları, 2016.

Kınalızade, Ali Çelebi. *Ahlak-ı Alâ'î*, nşr. Mustafa Koç. İstanbul: Türkiye Yazma Eserler Kurumu Başkanlığı, 2014.

Lebîb, et-Tâhir. "el-âhar fis-Sakafeti'l-Arabiyye". *Sûretu'l-Âhar: el-'Arabî Nazıren ve Manzuren ileyh*. ed. et-Tâhir Lebîb. Beyrut: Merkezü Dirâsati'l-Vahdeti'l-'Arabiyye, 1999.

Oktay, Ayşe Sıdıka. *Kınalızade Ali Efendi ve Ahlak-ı Alâî*. İstanbul: İz Yayıncılık, 2005.

Tevhîdî, Ebû Hayyân. *el-İmtâ' ve'l-Muânese*. nşr. Haysem Halife et-Tu'aymî. Sayda-Beyrut: el-Mektebet'ül-'Asriyye, 2011.

Ziriklî, Hayreddin. *el-A'lâm.* Beyrut: Darü'l-'İlm li'l-Melâyîn, 2002.

The Image of the Arab in the Book titled *Akhlāq-i ʿAlāʾī*

Summary

Imagology is one of the important studies that helps to know the perceptions of peoples about each other at a certain point in time. The image of the other is usually studied in travel books, poetry books, stories and novels. Also it can be found in the books related to social sciences, such as philosophy, history, geography and ethics.

There are a number of those books that fall within the framework of the aforementioned social sciences that contain a lot of information through which one can explore the image of some people in them, and that is through many things, the most important of which are digressions, examples, evidence, and stories contained in the book.

The book *Akhlāq-i ʿAlāʾī* is one of the books through which the image of the Arabs can be elucidated, as it contains examples, comments, tales and news about the Arabs. This book was written by the Ottoman judge and scholar Qınālızāde ʿAlī Çelebi, who lived a period of his life in the Arab countries.

Perhaps the subject of the book, its sources, and the writer's personal experience are among the things that helped to provide information related to the Arabs and to cite their sayings and poems.

The author has collected most of the material of his book from the ethics books that were written before, especially *Akhlāq-i Nāṣirī* (The Nasirean Ethics), by Nāṣir al-Dīn al Ṭūsī, *Akhlāq-i Jalālī* (The ethics of al-Jalālī) by Jalāl al-Dīn al-Dawānī and *Akhlāq-i Muḥsinī* (the ethics of al-Muḥsinī) by Ḥusayn Vāʿiẓ Kāshifī, and he added good additions to it.

The book consists of a preamble, an introduction, and three main chapters; The first chapter explains the science of ethics and its symbols, the second is on the science of home management, and the third is on the science of city management.

The image of the other, of course, is not the other, it has a historical context that refers to the reality in which this image was formed, and it is subject to change with the change of those factors

and circumstances. When the ego to which the author drawing the image belongs is in a position of strength, its relationship is that of a ruler and a ruled, and the common bonds such as religion or sect are strong and dominant, in many cases the other does not appear in a negative or in the image of the enemy, but rather in his positive image and in an image closer to reality. On the other hand, when the ego of the author is in a state of weakness and contraction, and the common bonds between it and the other are weak or marginalized, the other often becomes an enemy that threatens its existence and entity.

The writer's personal experience and worldview, his communication with the other and his knowledge of him play a big role in drawing the image of the other. When the writer is in direct contact with the other, and the sources of his knowledge of the other are diverse, he often draws a picture that is closer to realism.

In light of this hypothesis, the study aimed to clarify the image of the Arabs in the mentioned book by collecting and analyzing information related to the Arabs in the book. It must be noted that what was mentioned about the Prophet and the rightly-guided Caliphs were excluded, as we excluded the reference their cited sayings because they are from the sources of legislation and religion, and they are usually mentioned by all Muslim scholars.

Although the subject of the book is the science of ethics, the book *Akhlāq-i ʿAlāʾī* contains a lot of information about the Arabs between its two covers. Qınālızāde mentioned in his book many of the characteristics of the Arabs, their stories and news. The gathering of this information in one space constitutes his perception of the Arabs, and his view of them. The characteristics of the Arabs mentioned by the author in the book are generosity, pride, loyalty, courage, chivalry, coldness of character, strong lust, fanaticism, pride in origin and tribe, exaggeration, honoring guests, and love of freedom. Some of these characteristics are positive and some are negative. It is noticeable that the qualities mentioned by the writer are the same qualities that the Arabs used to be proud of in their debates with others, or that are mentioned in the comparison between Arabs and other peoples. As for the negative qualities mentioned by

the writer, they are less than the positive ones, and none of them suggest contempt or ridicule.

In his book, the writer was interested in Arab stories, news, customs and poetry, as he showed an interest in supporting his ideas by quoting Arab news and stories, especially the rulers among them. He cited the patience of Caliph Muʿāwiya b. Abū Sufyān, the generosity of al-Hassan, al-Ḥusayn, Zain al-ʿAbidīn, ʿAbdallāh b. Jaʿfar and al-Muhallab's family, as cited he the piety and justice of Caliph ʿUmar b. ʿAbd al-ʿAzīz, the injustice of al-Ḥajjāj b. Yūsuf al-Thaqafī, the Umayyad negligence of the movement against them in the province of Khurāsān, the brutality of Caliph Harun al-Rashīd, the clemency of Caliph Al-maʾmūn and his forgiveness, and the waste and extravagance of Caliph al-Muqtadir. He also cited more than a hundred verses of Arabic poetry dating back to different eras, starting with the pre-Islamic era and ending with the Mamlūk era.

We can say that the image of the Arabs in the book is dominated by realism, and it is derived from coexistence, personal experience and Arab sources. It is also far from prejudice, racism and intolerance. It refers to the reality in which it was formed. The emergence of this image in this way can be linked to the religious, political and social factors surrounding the writer.

The writer lived, in a time when the Ottoman Empire of a religious nature was at the height of its power and controlled large parts of the Arab countries, among the Arabs in Egypt and the Levant, and he knew their language and read their books. On top of that the Arabs constituted an important part of the demographic structure of the country.

Keywords: literature, Qınālızāde, *Akhlāq-i ʿAlāʾī*, Arab, image